المد القومي واتخذ اشكالا اكثر تحديا · وكان ينحسر ويتقلص كلما بدا ان الكفة تميل في صالح العدو · وقد بلغ هذا النضال اقصى درجات تراجعه في الستينات · فاصبح وجهه الغالب الدفاع عن الحق من خلال شرعية المغتصب · وتحول الناس الى الطعن في قانونية الاستيلاء على الارض استنادا الى القوانين التي استصدرتها سلطات الاغتصاب · وكان هذا النضال قد بدأ بخط مختلف · كما عاد واتخذ شكله الاصلي في السبعينات ، خاصة بعد حرب تشرين · عندها انقلبت صورة موازين القوى في المنطقة · وبدا ان كل تحجيم لسطوة العدو قد صب في كفة القوى القومية العربية ، ومن ضمنها الثورة الفلسطينية · وقد ترك كل ذلك اثره في نضال « عرب الداخل » ، الذي بلغ ذروته في انتفاضة « يوم الارض » (٧٦/٣/٣٠) ·

اذن ، كل شيء مؤقت ، الاقامة ، الوضع العربي العام ، الكيان الصهيوني ، الاحتلال ، اللجوء ، اغلاق الحدود ، الاستيلاء على الاراضي ، وكذلك قوانين الطوارىء · هكذا اعتقد الناس في الداخل · وكنت واحدا منهم ، لم يتميز موقفي بشكل يستدعي التنويه · وفي مجالسهم ، كان الشيوخ يستعيذون بالله مما يحصل امام عيونهم · هذا شيء لم يرد سابقا ، لم يخطر لهم على بال · بالتخصيص ، اجلاء الناس من ديارهم ، او الاستيلاء على املاكهم · لقد عرفوا القمع والظلم · خبروا التمييز ضدهم ، واعتادوا على العبث بكرامتهم · امـا ما يحصل الان فهو محنة · وهي شيء لا شك مؤقت · قالوا رأينا الحرب العالمية الاولى (السفر برلك) ، وذهب الاتراك وجاء الانجليز · رأينا الحرب العالمية الثانية ، والحرب في فلسطين ، وذهب الانجليز وجاء اليهود · هكذا سنة التاريخ في فلسطين · الغزاة يأتون ويروحون ، والناس في ديارهم قابعون · جيل يأتي وآخر يذهب ، والارض هي هي · فلماذا يكون شأن اليهود مختلفا · وفوق كل هذا ، مكتوب في الاسفار ان حكم اليهود لن يطول ، والا كانت نهاية العالم · وهذا لا يبدو على وشك الانهيار · ولكن ربما ، فمن يدري سوى الله ! الشائع على اي حال ، ان حكم اليهود مؤقت · وعليه ، وما دام في عنفوانه ، فلا بأس من التعامل معه على هذا الاساس ، والانحناء امام العاصفة · وفي المجالس الخاصة ، الكلام عن الكيان الشيء ونقيضه على الدوام · والسائد الا دوام لغير وجه الله · اغلقت الحدود ، فقيل اجراء مؤقت ، او ستفتحها الجيوش العربية · قسمت البلاد الى مناطق عسكرية ، وقيل اجراء مؤقت ، او « اذا زال المسبب زال السبب » · بدأ الاستيلاء على الاراضي ،وبناء المستوطنات عليها ، واخذ الشك يتسلل الى القلوب · لكن ، وربما لضرورات ذاتية ، ظل الاصرار على عبور الظاهرة· يتحرك شيء في العالم العربي، فتتضاعف القناعة باقتراب الساعة · ويخمد التحرك فيقوى الشك في صدق المقولة · وبين هذا وذاك تمر الايام والاعوام ·